المحاضرة (03): النظريات المفسرة للسلوك الاجرامي 1: نظرية التحليل النفسي

المبادئ العامة للمدارس و الاتجاهات النفسية في تفسير الانحراف و الجريمة:

- تتمحور هذه المدارس في دراستها على محاولة تحليل السلوك الجانح من خلال الجانب الذاتي للشخصية المنحرفة.
- لا تنكر هذه المدارس المؤثرات الخارجية و لكن تركز في دراستها حول فهم دينامية السلوك المنحرف من الشخصية و تكوينها و طبيعة القوى الفاعلة فيها.
- فأمام العوامل البيولوجية و الاجتماعية مثلا لا تنظر المدارس النفسية إليها تبعا لحالاتها الأولية و ربطها مباشرة بالسلوك الجانح ، بل البحث عن انعكاساتها على نفسية المنحرف كخطوة أساسية.
- يهتم أنصار هذه المدارس في تفسير السلوك الإجرامي عن طريق ربطه بالاضطرابات السلوكية.
- التركيز على التشخيص لبعض السمات النفسية المزاجية و القدرات العقلية التي يتميز بها المجرمون.
- الكشف عن البواعث آو دوافع انحراف الشخصية.
- يرى علماء النفس أن الفارق بين الشخصية السوية و الشخصية المرضية هو فارق في الدرجة و ليس فارقا في النوع.
- تشير الدراسات النفسية أن المجرمين خليط غير متجانس من الأسوياء و العصابيين و الذهانيين و السيكوباتيين و ضعاف العقول.

العوامل النفسية المولدة للجريمة: من اهتمامات علم النفس الإجرامي الكشف عن العوامل النفسية المولدة للجريمة ، و التي تكمن في خمس علل (احمد قليش و آخرون، 2017،ص ص 72-79) هي :

- **الاختلالات الغريزية :**

فالغريزة هي استجابة فطرية ذات طابع نفسي بحكم الانفعال المصاحب لها (و هذا ما تؤكده نظرية الغرائز لماكدوغال MacDougall) مع مثيرات معينة التي يثيرها إدراك الفرد و تدفع به إلى إصدار سلوك معين.

و بمعنى أخر أن الغريزة لها مكون معرفي و أخر انفعالي و ثالث نزوعي أي سلوكي.

و الاختلالات الغريزية المنتجة للجريمة هي:

- **اختلالات الغريزة الجنسية** و التي تتمظهر في :

= الجموح الجنسي : érotomanie و الذي يعرف بالشبقية عند الذكور و بالغلمة عند الإناث الناجم عن تضخم أو الزيادة في الطاقة الجنسية.الأمر الذي قد يدفع المصاب به إلى جرائم الاغتصاب و ممارسة البغاء لرغبته الشديدة و المستمرة لإشباع شهوته الجنسية.

= الخمود الجنسي : apathie sexuelle الناجم عن خمود الطاقة الانفعالية للغريزة الجنسية الذي يؤدي إلى اللامبالاة الجنسية و انعدام أو ضعف الميل الجنسي و من ثم العزوف عن الحياة الجنسية الطبيعية.و قد يلجا الشريك غير المصاب بهذا الجمود إلى إشباع طاقته الجنسية بطرق غير مشروعة من قبيل الخيانة الزوجية، و هذا ما يثير من جهة أخرى شكوك الطرف الآخر مما قد ينجر عنه مشاجرات ربما تتطور إلى جرائم عنف و حتى قتل.

= الانحراف الجنسي: perversion sexuel و يظهر في إتباع طرق و أساليب بديلة و شاذة و مخالفة الفطرة و الطبيعة في إشباع الغريزة الجنسية. و من أشكاله: الجنسية المثلية homosexualité ، الفيتيشية fétichisme، الميل الجنسي للأطفال pédophilie ، السادية sadisme ، المازوخية masochisme و التحول الجنسي travestisme و كلها تصرفات مشجعة للوقوع في جرائم الاغتصاب أو التحرش أو الدعارة.

-**اختلالات غريزة المقاتلة** : l'instinct du combat التي تهدف في مستواها الطبيعي إلى حفظ الذات من المخاطر. و لكن حدة انفعال الغضب المصاحب لهذه الغريزة تجعل صاحبه عاجز عن كبح غضبه الشيء الذي قد يتسبب في صدور سلوك قتالي عنيف اتجاه الغير و تحطيم و تدمير الأشياء و التلفظ بعبارات التهديد و الشتم و القذف.

-**اختلال غريزة الاجتماع** : l'instinct sociale و هي غريزة أساسية في الانتماء و تشكيل التجمعات، و في صورتها الطبيعية مساعدة على التعاون و التعاضد الإنساني في مواجهة صعاب الحياة. لكن خمود هذه الغريزة ينجم عنه اللامبالاة و الابتعاد و العزوف عن المشاركة الاجتماعية مما قد يهيئ صاحبها إلى التمرد عن قواعد ضبط السلوك و خرق القوانين الناظمة للعلاقات الاجتماعية مما يوقعه في سلوكات يجرمها القانون.

* **العواطف المنحرفة:** يمكن تقسيم العواطف إلى : عواطف جذابة تجذب صاحبها إلى موضوعاتها كعاطفتي الحب و الاحترام . و أخرى منفرة تجعل صاحبها ينفر من موضوعاتها كعاطفتي الكراهية و الاحتقار. و عليه فان العواطف إما تجعل شخصية صاحبها ميالا إلى حب الآخرين و التعاون معهم و الإحساس بهم. و إما تجعله يسلك مسالك الانحراف و الشر و الفساد.

و نشير إلى انه يمكن لعاطفة واحد أن تتضمن الخير و الشر في آن واحد كعاطفة حب المال.

***العقد النفسية** : complexes psychiques و التي تتكون من حصيلة المواقف و الذكريات المشحونة بسمات انفعالية مؤلمة و ضارة المكبوتة في اللاشعور حسب المنظور التحليلي النفسي .

فهذه العقد الكامنة في اللاشعور تدفع بصاحبها إلى القيام ببعض السلوكات الشاذة و المنحرفة تكون مهيأة للإجرام و من أكثر هذه العقد المولدة للسلوك الإجرامي :

= **عقدة النقص** complexe d'infériorité التي تنشا نتيجة إصابة الفرد بعاهة أو خلل يصب بعض وظائفه الحسية أو الحركية أو نتيجة الحرمان الجزئي أو الكلي من إشباع الحاجات الأساسية. الأمر الذي يولد شعور بالدونية أو النقص فيدفع بالفرد إلى التعويض عن ذلك إما بشكل ايجابي

و مقبول أخلاقيا و اجتماعيا ، و إما بشكل سلبي يظهر في سلوكات تعويضية مرفوضة قانونا من بينها ارتكاب الجرائم.

=**عقدة اوديب complexe d'oedip** التي تنشا ضمن العلاقة الثلاثية الأب –الأم – الطفل أين يميل الطفل إلى عشق أمه و شعوره في نفس الوقت بالغيرة من أبيه. الذي يراه منافسا له في حبه لامه. فإذا استمر هذا الكره لأبيه و التعلق بالأم تدفع به كراهيته اللاشعورية لأبيه إلى اتخاذ سلوكات عدوانية اتجاه كل من يرمز أو يملك السلطة. فيتمرد عليها و يميل إلى اللاامتثال إلى القوانين و الأنظمة، الأمر الذي قد يوقعه في السلوكات المنحرفة و المجرمة. مثل زنا المحارم و قتل الولي.

=**عقدة الأب complexe paternel** هذه العقدة تنشا أساسا من سوء المعاملة الوالدية في التنشئة الأسرية التي تتميز بالشدة و القسوة اتجاه الطفل ، حيث باستمرارها يتشربها الطفل و يستدخلها في اللاشعور فيقوم بممارستها بدوره مع الآخرين .قد تصل به إلى سلوكات إجرامية.

=**عقدة الكترا Le complexe d'Électre** و هي المقابلة إلى عقدة أوديب لدى الفتاة حيث تتعلق الطفلة بوالدها بشكل مرضي شديد و تغير عليه من والدتها و تقوم بتقليد والدتها في كل تصرفاتها كنوع من الغيرة . قد يصل هذا التعلق اللاوعي للفتاة بأبيها وغيرتها من أمها وكرهها لها، لأنها تراها العقبة التي تقف أمامها في طريق الحصول على أبيها، إلى التأمر عليها أو إيذائها آو الكيد لها للتخلص منها.

- **الأمراض النفسية** :التي أرجعتها نظرية التحليل النفسي إلى نزعات و رغبات مكبوتة ذات طابع جنسي تظهر بشكل اختلال اضطراب جزئي للشخصية مقرون اضطراب نفسي.

و يعتقد فرويد Freud أن الهستيريا التحويلية (نوبات الصرع، نوبات التجوال النومي– السرنمة–، ازدواج الشخصية) و الهستيريا التسلطية(هوس القتل ،هوس السرقة، kleptomanie هوس إضرام النار pyromanie، هوس الجنس، هوس الكحول) و هستيريا المعتقدات الوهمية (جنون العظمة، الشعور بالاضطهاد) هي أشكال من الأمراض النفسية العصابية لها علاقة بالسلوك الإجرامي.

- **التخلف النفسي**: الناجم عن توقف تطور الجانب النزوعي من الغريزة في مرحلة الطفولة، و يبقى ثابتا في حالته الأولية، أين يصبح المريض محتفظا بسلوكه الطفولي العابث. أو ما يسمى بآلية التثبيت.fixation. و صنف علماء النفس المتخلفين نفسيا بناء على طبيعة سلوكهم إلى فئات هي:

–نمط عدواني: من صفاته التمرد على نظم المجتمع و العدوانية في التعامل مع الآخرين. قد توصله إلى جرائم العنف و السرقة و الاغتصاب.

–نمط مراوغ: الذي يتميز بأسلوب المراوغة و الخداع و التسويف في تعامله مع الغير.مما قد يؤدي به إلى جرائم الاحتيال و التزوير ون النصب و خيانة الأمانة.

–نظرية التحليل النفسي و السلوك المنحرف و الاجرامي

تعد مساهمة التحليل النفسي أساسية في فهم السلوك المنحرف من خلال تحليل شخصية المنحرف و معرفة خفاياها من منظار دينامي ، يرتكز على دوافع الجناح لدى الأحداث الأمر الذي ساعد المهتمين بالسلوك المنحرف و الإجرامي من وضع خطط توجيهية و علاجية مناسبة.

و لقد أكد سيغموند فرويد *Sigmund Freud* مؤسس هذه النظرية من خلال نظريته في تفسير الجناح والانحراف أن الجريمة تعزى إلى اختلال في وظائف الجهاز النفسي للشخصية المتمثل في الهو والأنا، والأنا العليا من حيث بناء هذا الجهاز، وقوته وضعفه و طبيعة العلاقة بين عناصره الثلاثة من جهة وبين الواقع المحيط من ناحية أخرى. إلى جانب ما ينشأ في النفس من صراع ودوافع مكبوتة تؤدي إلى أساليب سلوكية لاشعورية شاذة للدفاع عن ذات الفرد. وهذا يؤدي إلى السلوك اللاسوي بمختلف صوره كالسلوك الذهاني، أو العصابي، أو السلوك الإجرامي.

و فيما يلي نظرة مختصرة على الآراء الأساسية لبعض أعلام النظرية التحليلية النفسية:

***سيغموند فرويد (تحليل نفسي كلاسيكي)**

– السلوك الإجرامي ناتج عن صراع داخلي بين الهو (الغريزة) و الأنا (الواقع) و الأنا العليا (الضمير الأخلاقي)

– في حالة ضعف الأنا أو ضعف الأنا العليا يُصبح الفرد غير قادر على التحكم في الرغبات الغريزية (الهو)، مما يؤدي إلى سلوك إجرامي.

– يرى أن الدوافع المكبوتة مثل العدوان والجنس التي لم يتمكن الفرد من التعبير عنها بشكل سليم و متزن يمكن أن تتجسد في سلوكيات إجرامية.

– السلوك الإجرامي قد يكون طريقة غير واعية للتعامل مع الصراعات الداخلية العميقة، مثل الشعور بالذنب أو بالقصور أو العجز.

***كارل يونغ (التحليل النفسي واللاوعي الجمعي)**

– السلوك الإجرامي يمكن أن يُفهم على أنه نتيجة للظلال(الجانب المظلم من الشخصية) التي تُنكر أو تُكبت في اللاوعي.

– يعتقد يونغ أن اللاوعي الجمعي يحتوي على رموز وأفكار مشتركة بين جميع البشر، والسلوك الإجرامي قد يظهر عندما يكون هناك صراع داخلي بين الأفراد وتلك الرموز.

– التجسيد المبالغ فيه للظلال (الجانب المظلم الذي يتجاهله الفرد) قد يؤدي إلى تصرفات منحرفة أو إجرامية، خاصة إذا كان الشخص غير قادر على التكامل بين جوانب شخصيته.

– الصراع مع الرموز الثقافية قد يؤدي إلى سلوك إجرامي إذا شعر الشخص بالرفض أو التهميش الاجتماعي.

***ألفريد أدلر (التحليل النفسي الفردي)**

– يعتبر الشعور بالنقص أو الدونية من الأسباب الأساسية للسلوك الإجرامي.

– السلوك الإجرامي يمكن أن يكون محاولة للتعويض عن شعور الفرد بالنقص أو الحرمان أو النبذ الاجتماعي.

– يرى أن الشخص الذي يواجه صعوبات في تطوير إحساس بالثقة بالنفس قد يتجه نحو الانحرافات الاجتماعية كوسيلة للتأكيد على وجوده أو قوته.

– حسب رأيه، يُنظر إلى السلوك الإجرامي على أنه محاولة فاشلة للتكيف مع الصعوبات النفسية أو الظروف البيئية.

***إريك إيكهورن (التحليل النفسي السلوكي)**

– يرى أن السلوك الإجرامي يمكن أن يكون استجابة للضغوط النفسية والاجتماعية التي يعاني منها الفرد.

– يشير إلى أن السلوك الإجرامي قد يكون آلية تكيفية للهروب من الضغوط النفسية أو محاولة التحكم في بيئة قد تكون مؤلمة أو معيقة.

– يرى أن الأفراد الذين يعانون من صعوبات في التكيف الاجتماعي أو مشكلات اقتصادية قد يتجهون نحو السلوك الإجرامي كوسيلة للتعامل مع هذه الضغوط.

– السلوك الإجرامي يمكن أن يكون رد فعل على التجارب الاجتماعية السلبية أو الظروف القاسية مثل: الفقر أو الإهمال أو القسوة.

***ميلاني كلاين (التحليل النفسي للأطفال)**

–يكون السلوك الإجرامي نتيجة لتجارب الطفولة المبكرة مثل التجربة السيئة أو العلاقة غير المستقرة مع الأبوين الأم خاصة الأم.

– تؤكد على أهمية الانقسامات العاطفية في مرحلة الطفولة، حيث يُظهر الطفل العدوانية والحسد تجاه الشخصيات المحورية في حياته.

– في حالة الإهمال العاطفي أو الصدمات النفسية في مراحل الطفولة، يمكن أن تتشكل عقد نفسية تؤدي إلى سلوكيات إجرامية في المستقبل.

– السلوك الإجرامي يمكن أن يكون نتيجة لفشل الطفل في تكوين هوية مستقرة أو بسبب القلق المزمن الناتج عن الطفولة المبكرة.

*** إريك هومبورت إريكسون** Erik Homberger Erikson **(نظرية النمو النفسي الاجتماعي** Psychosocial Development Theory)

– في مرحلة الثقة مقابل الشك (الطفولة المبكرة)، إذا تعرض الطفل للتهميش أو الإهمال العاطفي من الوالدين أو البيئة العائلية، فقد يؤدي ذلك إلى فقدان الثقة في الآخرين والمجتمع. هذه التجارب السلبية قد تؤدي إلى تنمية مشاعر الحقد و العدوان التي يمكن أن تتجسد لاحقًا في سلوك إجرامي.

– في مراحل البلوغ المبكر، إذا فشل الشخص في بناء علاقات صحية ومرضية، قد يؤدي ذلك إلى شعور بالوحدة والعزلة العاطفية. هذا الشعور بالنبذ يمكن أن يدفع الشخص إلى اتخاذ سلوكيات إجرامية كوسيلة للانتقام أو الاحتجاج ضد المجتمع أو كوسيلة للبحث عن الانتماء.

–إذا فشل المراهق في بناء هوية مستقرة و واضحة، فقد يواجه تشويشًا في هويته. هذا الاضطراب الداخلي يمكن أن يدفعه إلى الانحراف الاجتماعي أو السلوك الإجرامي كوسيلة للبحث عن القبول الاجتماعي أو التعبير عن ذاته.

***دانيال لاغاش (التحليل النفسي والسياسة الاجتماعية)**

– يرى أن الانحراف الإجرامي قد يكون رد فعل على النظام الاجتماعي وعلى ما يعتبره عنفًا رمزيًا يمارسه المجتمع.

– يتناول لاغاش فكرة أن اللغة والتواصل المجتمعي يلعبان دورًا كبيرًا في تكوين الهوية، وبالتالي فإن السلوك الإجرامي قد يكون تعبيرًا عن رفض رمزي للنظام المجتمعي أو للمعايير الاجتماعية.

– يرى أن الفرد الذي يعاني من تفكك في الهوية أو عزلة اجتماعية قد يُظهر سلوكًا إجراميًا كنوع من الاحتجاج ضد النظام أو كوسيلة للبحث عن الهوية.

– يركز على تأثير الضغوط الاجتماعية والعوامل المؤسساتية التي تساهم في تشكيل السلوك الإجرامي، مؤكداً على الظروف الاجتماعية في تفسير الانحرافات.

و المتتبع لتراث التحليل النفسي يتبين له أن نظرة التحليل النفسي لشخصية المنحرف و المجرم مرحلة بعدة مراحل(محمد زبغور،1993،ص، ص 47–51) هي :

أ – مرحلة تعميم نظرية العصاب على الجانحين: –

حدث هذا التعميم في بداية اهتمام التحليل النفسي بالسلوك الجانح بشكل عام و اعتبر كشكل من أشكال العصاب و عومل على هذا الأساس من الناحية العلمية و أطلق عليه اسم اضطرابات الطباع. و من مبررات هذا التعميم ما يلي:

*وجود الاضطرابات النفسية التي تميز الحياة العصابية عند العديد من الجانحين.

*المنحرف شبيه بالعصابي من حيث سرعة تفجر القلق النفسي لديه و سرعة انفعاله و نقص نضجه الشخصي و صعوبة ارتباطه بعلاقات عاطفية مستقرة و ناضجة مع كثرة الاضطرابات الجنسية لديه.

* دراسة بعض التصرفات الجنائية أوضحت علاقتها بعقدة اوديب و الرغبة في التعويض القضيبي و هي من مكونات العصاب الأساسية.

*كما يلاحظ عند دراسة الحياة النفسية للعصابي خصوصا دوافعه و نزواته المكبوتة في اللاوعي تبين أن هناك شحنات هائلة من نوازع العدوانية و الجنسية و غير الخلقية و ميول لسلوكيات إجرام.

*إن حياة العصابي لا تخلو أبدا من مكافآت رمزية للجنح و الانحرافات و الميول الجنائية.

*كما أظهرت دراسة أحلام العصابي و كوابيسه إلى كثرة موضوعات العدوان و الاقتتال و الاعتداء و الضرب ... .و هي أمور تميز حياة بعض الجانحين الذين ينزعون إلى العنف .

الانتقادات الموجهة لأصحاب هذا التعميم

– رفض المحللين لهذا التعميم المبسط بالرغم من تشابه بين بعض جوانب العصاب و الانحراف .

– إذا كان هناك جانحون ناجم انحرافهم عن عوامل مرضية نفسية و يختفي عصابهم وراء اضطرابات خلقية و سلوكية ، فانه لا يمكن مطلقا إرجاع جميع المنحرفين إلى هذه الفئة، حيث أثبتت أبحاث أن حوالي80 % من الجانحين لا يتميزون مطلقا عن الناس العاديين من حيث ظهور الأعراض العصابية لديهم . و من الضروري التمييز الواضح بين الشخصية الجانحة و الشخصية العصابية عند تشخيص حالاتهم. ثم إن الأعراض العصابية التي تظهر عند الجانحين ليست هي المسؤولة بالضرورة عن انحرافهم . فالعلاقة بينها و بين السلوك الجانح ليست سببية.(محمد زبغور،1993،ص 48). كما نشير إلى إن الأمراض العصابية هي أكثر انتشارا بين غير المجرمين بالمقارنة بانتشارها بين المجرمين. (عبد المجيد سيد احمد منصور،زكريا احمد الشربيني، 2013، ص 98)

– فالاضطرابات العصابية التي تظهر عند بعض الجانحين تظل ثانوية بالنسبة للاضطراب الأساسي و هو التوجه نحو الحياة الجانحة.

– و هناك فرق أساسي بينهما هو الأسلوب العام للوجود و فلسفته فالانحراف توجه حياتي يتميز بالعداء للمجتمع و اضطهاده و الدخول في صراع مع معاييره. أما العصابي فيتميز نمط وجوده بالعجز أمام المجتمع و الآخرين .

– و من ناحية أخرى إن الميولات ذات الطابع العدواني و اللاأخلاقي التي تظهر في أحلام العصابي و تملا حيزه اللاوعي لا تتعدى غالبا المجال الهوامي و لا تتجسد في السلوك الجانح إلا في حالات نادرة.لأنه يحاول عادة اتخاذ الاحتياطات لمنعها من الظهور في سلوكات، و يصبح الخوف من ظهورها وسيلة للتعبير عن قلقه المرضي.

كما نشير إلى نقطة هامة و هي أن في بعض الحالات تؤدي نفس العوامل إلى نتيجتين مختلفتين، فالحرمان العاطفي مثلا في الطفولة المبكرة قد يؤدي إلى العصاب أو الذهان أو الانحراف. و في هذه المواقف نكون أمام فروق نوعية بين الاستجابة العصابية و الاستجابة الجانحة للحرمان من المهم جدا عند المهتمين تشخيص طبيعتها لتحديد طريقة علاجها.

ب-مرحلة التعارض بين الجانح و العصابي

بناء على الانتقادات السابقة و نتائج الأبحاث العيادية لدى الفئتين أدى بالمحللين النفسيين إلى تبني طرح مضاد للسابق و هو التعارض بين الجانح و العصابي. و يمكن إيجاز هذا التعارض في ثلاث نقاط أساسية هي :

***توجه الصراع و الموقف من الاخرين**

- صراعات العصابي تظل على المستوى النفسي الداخلي أساسا و لا تبرز للخارج سوى أثار هذا الصراع .أما الجانح فان صراعاته تتخذ عادة الطابع العلائقي.
- عدوان العصابي الموجه للخارج يظل عدوانا غير مباشر و يبقى على مستوى ذاتي خيالي. و يؤدي العدوان بكل ما يصاحبه من معاناة و قلق و مشاعر دونية إلى ازدراء للذات و نقمة عليها و ميل إلى تحطيمها.
- أما الجانح فعدوانه يتجه أيضا نحو الذات في نفس الوقت الذي يتخذ طابع التمرد التدميري على العالم الخارجي. و يتخذ الفعل عنده طابع التعويض عن الغبن الذي لحق به، و يضع الآخرين موضع المتهمين و يبرر اضطهاده لهم و عدوانه عليهم .ويتخذ العدوان الموجه نحو الذات طابع انتحاري الذي يلاحظ عند معظم الجانحيين (سلوك المغامرة و تعريض النفس للأخطار بدون مبرر)
- يصبح الأنا عند الجانح(عنصر التوازن و التوفيق بين مطالب الهو و متطلبات الواقع)غاية في حد ذاته، فهو لا يعترف بالآخر (اللا أنا) إلا كجزء من الأنا أو بالأحرى كأداة في خدمة الأنا يمكن استغلالها عند الحاجة، الأمر الذي يؤدي انعدام

التمييز بين العالم الداخلي و العالم الخارجي، فالرغبة في شي ء ما عند الجانح تعني في نفس الوقت امتلاكه.

من حيث الموقف من الذات :

- يهرب الجانح من ذاته بينما العصابي يهرب في ذاته.
- الجانح يتجنب عادة مواجهة صراعاته النفسية و يتهرب من القلق و ينغمس في الواقع المادي و بالأحداث و الوقائع التي تعترض حياته اليومية. أما العصابي فيعاني من صعوبة الانغراس في الواقع المادي و يتجنبه مرتدا إلى الذات كي يغرق في هواماتها و تخيلاتها و يجتر ألامها.
- و على عكس الجانح الذي يتجنب الإحساس بالآلام المعنوية و الذاتية نجد العصابي يجتر هذه الآلام و يعممها على الواقع المادي. و يتناسب اجتراره لآلامه الذاتية من حيث الشدة مع انخفاض مراعاة الواقع و تقديره بشكل صحيح ومواجهته انطلاقا من ذلك.
- و بالرغم من الاختلاف بينهما من حيث الموقف من الذات، فإننا نجد أن وظيفة الواقع مضطربة لدى الاثنين. فالجانح لا يدرك من الواقع إلا ما يحمله من لذات آنية و لا يستطيع إدراك جميع أبعاد الواقع، و موقفه منه اضطهادي أساسا. كما أن العصابي يشوه الواقع من ناحية تضخيم أخطاره و صعوبات، من ثم تضخيم عجزه تجاه هذا الواقع.

من حيث الموقف من الديمومة :

- اضطراب الديمومة في الحالتين من حيث تناسق أبعادها الثلاثة(الماضي ، الحاضر. المستقبل)

- الجانح يهرب من الماضي في الحاضر و يهرب من المستقبل كذلك. بينما يهرب العصابي من الحاضر.
- و بمعنى آخر أن الجانح يهرب في الحاضر بينما يهرب العصابي من الحاضر.
- يظهر الجانح في الغالب عجزا واضحا عن التخطيط للمستقبل. كما يعجز عن الاستفادة من تجارب الماضي. أما العصابي فيغرق في ماضيه مجترا تاريخه بما فيه من تجارب و ماسي ، كما قد يغرق في المستقبل بما فيه من خطط و تصورات وهمية و حلول سحرية مما يبعده عن مجابهة الحاضر. فهو يهرب مما هو كائن إلى ما كان أو سيكون.

ج- مرحلة دراسة الجانح بشكل مستقل

مرت هذه المرحلة بخطوات أساسية هي:

- **الجانح بدون أنا اعلي** : قدم هذا الافتراض التفسيري ' ايكهورن**'Eichhorn**

(و هو محلل نفسي من أتباع فرويد) بعد عمله العلاجي مع جماعة من الشباب الجانح، فحسب اعتقاده أن سلوكات مثل : العنف و الاندفاع و انعدام الضبط الذاتي و انعدام مشاعر الذنب و عدم الإحساس بالآم الآخرين التي تميز شخصية المنحرفين تجعلهم يفتقدون الحس الخلقي تماما و ينجرفون في تيار نزواتهم. و هي من نتائج ضعف وظائف الأنا الأعلى (مركز الضبط الخلقي و مشاعر الذنب و محاسبة الذات و مراقبتها) الشيء الذي أدى بايكهورن بان يفترض بان الجانحين يفتقدون هذا الأنا الأعلى. مما يجعل الجانح يرزح تحت وطأة مطالب الهو مما يجهله يعتدي على الحرمات و يخرق القوانين و يتجاهل المعايير الاجتماعية بشكل آني.

- لكن الملاحظات الدقيقة أثبتت فيما بعد صعوبة الأخذ بهذا الافتراض التفسيري . فالجانح الشائع لا يختلف كثيرا عن الناس العاديين و خرقة للقوانين و تعديه عل المعايير الاجتماعية ليست بالصفات العامة التي تميز حياته بشكل دائم ، بل يقتصر ظهورها على مناسبات و مواقف معينة، كما يظهر الجانح خارج هذا الواقف تصرفات ايجابية على التعاطف مع الآخرين كما تنتابه مشاعر الندم و يستطيع التمييز بين الصواب و الخطأ،

و في حالات أخرى يظهر الكثير من الحياء و التأثر و يندفع في تصرفات فيها تضحية من اجل الآخرين.

– كما اتضح عند فرويد و مجموعة من المحللين الذين عالجوا حالات الانحراف أن وراء هذه القسوة المفرطة و الأنانية و عدم الاكتراث و مراعاة الآخرين ميولا دفينة تعصف بالجانح و تدفع به إلى تحقير ذاته و تحطيمها، كما تدفع به أحيانا إلى القيام بأفعال تظهر كل الدلائل على أن المحرك الأساسي و راءها هو البحث عن العقاب. خاصة عند حالات مكرري الانحراف و الإجرام.

هذه الملاحظات أدت إلى تغيير كلي في الافتراض التفسيري للانا الأعلى للجانح.

–ب– الجانح ذو أنا أعلى عنيف

– الجانح حسب هذا الافتراض هو ضحية أنا أعلى عنيف يمارس على صاحبه نوعا من الهمجية و يدفعه باستمرار إلى وضعيات تنتهي بالعقاب و الحط من القيمة الذاتية . و يلتقي حول هذا الافتراض فرويد و ميلاني كلاين و أتباع كل منهما، مع وجود بعض الفروق بينهما.

***راي فرويد:** الذي يرى بان الجانح يرتكب أفعاله المضادة للمجتمع بحثا عن العقاب، و هو يفعل ذلك لأنه مدفوع بمشاعر ذنب شديدة ناجمة عن أنا أعلى مفرطة في قسوته و يتطلب العقاب بشكل دوري لكي يهدأ. و حسب فرويد أن نشأة هذا الأنا الأعلى العنيف تعود إلى فشل حل عقدة اوديب . فيظل الطفل متعلقا بأمه و مشحونا بالنوايا العدوانية اللاواعية تجاه الأب. هذه النوايا العدوانية تطلق بدورها مشاعر ذنب شديدة و خوف من انتقام الأب. و بالتالي يتكون لديه أنا أعلى على صورة هذا الأب الهوامي (الأب العنيف الذي يعاقب الطفل على نواياه العدوانية والتملكية). و لذلك فالجانح حسب فرويد مدفوع في أفعاله بالبحث اللاواعي عن العقاب.

و ينطبق هذا التفسير خاصة على ظاهرة العود أو التكرار عند بعض الجانحين الذين يعطون انطباع و كأنهم ينحرفون كي يعاقبوا، و في السجن يبدوا عليهم الهدوء لان العقاب يسكت صوت الأنا الأعلى. و لا تمضي فترة طويلة من الزمن بعد خروجهم من السجن حتى

يتحرك الأنا الأعلى من جديد مطالبا بالعقاب من خلال إثارة مشاعر الذنب الشديدة. و هكذا تترسخ الحلقة المفرغة التي تميز حياة هؤلاء المعيدين.

مشاعر ذنب ـــــ سلوك جانح ـــــ عقاب ـــــ مشاعر ذنب.

–لكن يبدو أن هذا الافتراض ينطبق فقط الانحراف النابع من مشاعر ذنب مرضية و لا على كل الجانحين الذين يتمنون في معظمهم البقاء طلقاء و يستمتعون بمجلوبات الحياة الجانحة.

***راي ميلاني كلاين Melanie Klein**

التي أسهمت كثيرا بآرائها و كتاباتها في مجال التحليل النفسي في انجلترا ثم في العديد من البلدان الأخرى. و لقد اهتمت خصوصا بالطفولة الأولى تشخيصا و علاجا .

– تعتقد **ميلاني كلاين** بان الجانح مدفوع أساسا بانا أعلى عنيف و همجي ، و لكنها تختلف عن فرويد من نشأة هذا الأنا الأعلى الهمجي. و الذي يرجعه إلى عقدة اوديب ما بين الثانية و النصف و الخامسة أو السادسة من العمر، بينما ترى **ميلاني كلاين** أن الأنا الأعلى سابق لعقدة اوديب و يتكون في السنة الأولى من الحياة. و هي ترجعه إلى العلاقة الأولية مع الأم من خلال تجربة الرضاعة عند الطفل، و التي تتكون معها صورة ما عن الأم و بالتالي عن نفسه من خلال نوعية تجربة الرضاعة. فإذا صاحب هذه التجربة علاقة سارة و مطمئنة و مشبعة للطفل تكونت لديه صورة ايجابية عن الأم، و هذا ما تطلق عليه **ميلاني كلاين** اسم ' صورة الأم الصالحة'. أما إذا كانت هذه التجربة مؤلمة أو محبطة لم يحصل الطفل على الطمأنينة و الارتياح فتتكون لديه صورة سلبية عن الأم و تسمى ' صورة الأم السيئة'.

– فصورة الأم (الايجابية و السلبية) تشكل النواة الأولى لكل صورة تالية يكونها الطفل عن الآخرين و عن العالم و عن ذاته و وجوده. فالصورة السيئة للام تؤدي إلى تكوين قيمة سلبية عن الذات و إلى تكوين أنا أعلى همجي و عنيف يمارس سلطته على الطفل عكس الصورة الأم الصالحة التي تؤذي به إلى تكوين نظرة ايجابية عن ذاته و من ثم تنشأ أنا أعلى و دودا و رفيقا.

– إن الإطار التفسيري الذي قدمته **ميلاني كلاين** يسلط الضوء على أبعاد عميقة من شخصية الجانح و يعكس فعلا ما يدور فيها من صراع. حيث اتضح من الأبحاث الموالية أن هذا القناع من الجمود العاطفي و اللامبالاة الذي يحاول الجانح عن قصد التستر به و استعراضه أمام الآخرين يخفي وراءه كائنا يسحقه القلق و يعصف به الذعر من ميول تدميرية و من خوف الفشل من الحصول على الحب . الأمر طرح فكرة تغيير إستراتيجية الإصلاح التقليدي المتبعة مع الجانحين و التي تقوم على عنصري الترغيب و الترهيب بخطة علاجية إصلاحية تنطلق من المعرفة المعمقة بديناميكية الشخصية.

-بعض التحفظات على افتراض ميلاني كلاين :

***أول تحفظ** يدور حول كيفية نشأة الأنا الأعلى العنيف ، إن دراسة مختلف حالات الانحراف لا تؤيد **ميلاني كلاين في** افتراضها أن الأنا الأعلى العنيف ينتج فقط عن المرحلة الفمية السادية و عدم إمكان تجاوزها من خلال الوصول إلى المرحلة التناسلية . فأبحاث **جون بولبي** على عينة من الجانحين (44) اللصوص المجرمين عاطفيا بينت أن الأنا الأعلى الوحشي ينتج أساسا عن صورة الأم السيئة التي تعكس في الواقع، و ليس فقط نتيجة لسادية ذاتية عند الطفل أما حقيقة نابذة غير محبة. أو غيابا كليا للام المحبة و عدم إمكانية التماهي بصورتها.(محمد زيغور ، 1993 ص 59) بمعنى آخر إن الأنا الأعلى العنيف ينشأ نتيجة لاجتياف صورة أم سيئة أو صورة عالم مقلق مليء بالأخطار لا يساعد على إشباع حاجات الطفل إلى الحب و الدفء العاطفي و الطمأنينة.

***التحفظ الثاني** يبدو في تركيز **ميلاني كلاين** على الجانب الذاتي من المشكلة فمصدر الاضطراب حسب رأيها سواء كان في شكل عصاب أو ذهان أو انحراف هو داخلي و لا يتدخل المحيط إلا بشكل ثانوي فيه.

ج–وجهة نظر علائقية:

يتحدث دنيال لاجاش D.LAGACHE عن الجانح من منطلقين : شخصية الجانح و خصائصها. و السلوك العدواني باعتباره السمة الأساسية للانحراف.

* فشخصية الجانح فيمكن معرفتها من خلال التركيز على دراسة اضطراب التماهي و التدامج الاجتماعي . حيث يأخذ اضطراب التماهي طابع الفشل في إقامة علاقات أولية ايجابية مع الأم في البداية ثم مع المحيط الأسري بعد ذالك، و هذا الاضطراب هو المسؤول عن معظم السمات التي توصف بها شخصية المجرم(محمد زبغور 1993ص71). مثل : عدم القدرة على الحكم في مسالة خلقية من وجهة نظر غير ذاتية ، انعدام اعتبار الآخرين ، نقص الحس بالمسؤولية و الخطيئة، ميل إلى ردود فعل البراءة. بالإضافة إلى سمات الشخصية غير الناضجة كعدم القدرة على التخلي عن الاشباعات المباشرة على حساب السلامة رغم العقاب و نقص الحكم و النقد الذاتي و الاستفادة من تجارب الماضي ، هذه السمات يرجعها لاجاش أساسا إلى فشل إقامة العلاقات الايجابية، و اختصرها في صفة واحدة و **هي نفي قيمة الآخر و القيم العامة** و عليه يغلب على الجانح طابع العداء و الصراع و الاضطهاد على علاقاته الاجتماعية و تأكيده على الحاجات الفردية و الميول التسلطية في سلوكه منخرطا في عملية من التماهي البطولي من خلال الانتماء إلى جماعة جانحة.

*أما السمة الأساسية التي تميز السلوك الجانح فهي العدوان، و هو أسلوب حركي للدخول في علاقة. و من ثم لا يمكن فهم العدوانية إلا في إطار علائقي. و إذا منع الجانح من التدمير فانه سيقع أسير الذعر و الذهول و الاكتئاب ، ذلك لأنه في هذه الحالة سيواجه بانعدام القيمة الذاتية ، و باللامعنى تجاه الآخر.

و عليه فان لاجاش ينظر إلى للسلوك الإجرامي من زاويتين :

- زاوية دينامية تربط بين شخصي المجرم و فعله الإجرامي
- زاوية وصفية تتعلق بعلاقة المجرم مع الجماعة التي ينتمي اليها . -

فالصراع أو النزاع النفسي ليس داخليا فقط عند المجرم بل هو خارجي أيضا.

و يلتقي لكان Lacan مع هذا التفسير العلائقي عندما يقول أن سلوك الجانح هو أساسا حوار عنيف بالطبع، و لكنه على كل حال حوار، محاولة للدخول في علاقة مع الآخر . من خلال العنف الجسدي أو المادي ، يحاول الجانح أن ينتزع من الآخر اعترافا به ككائن ذي قيمة ، و ليس المهم أن تكون هذه القيمة ايجابية أو سلبية ، بل هو الاعتراف بها ، الاعتراف بوجود الجانح **(إذا لم يحبني الآخرون و يحترمونني فليخافوا مني على الأقل)**. (محمد زبغور 1993ص72)

فهذه النظرة العلائقية لشخصية الجانح ترى في سلوكه نداء ، حوار مع العالم لم يتمكن من الوصول إلى غايته بالإقناع فلجأ إلى القهر و الإخضاع . و المطلوب من الآباء و المهتمين بالجانح محاولة فهم هذا الحوار و التقاط مضامين رسائله لننقل إليه فيما بعد فهمنا لندائه و هي بداية عودة الحوار الإنساني الايجابي معه ، و هذا يعني دخولنا معه في علاقة تعطيه معناه و تعطينا معنانا أيضا.

Lagache : la personnalité comme telle n’existe pas ce qui existe ce sont les réseaux de relations

والملاحظ أن التفسيرات النفسية للسلوك المنحرف بشكل عام تعتمد في العديد من جوانبها على منطلقات تيارات التحليل النفسي المختلفة ، فمشكلات العلاقات مع الوالدين ، الحرمان العاطفي ، مشاعر الذنب و النقص ، الصراع ، العقد النفسية خصوصا عقدة اوديب ... تشكل محاور رئيسية في الاتجاهات الحديثة في تحليل و فهم الشخصية الجانحة.